لورد روزبرى والسياسة البريطانية فى السودان ١٨٨٢ - ١٨٩٥

دكتوره محاسن عبد القادر حاج الصافى

ارشيبولد فيليب برمروز Archibold Philip Primrose 5th Earl of Rosebery اسكتلندى الاصل ولد فى لندن عام ١٨٤٧ وهو ابن اللورد Dalmeny ينحدر اللورد روزبرى من عائلة عريقة الاصل لم تعرف بالثراء فحسب بل عرفت أيضا بالنبوغ فى السياسة والعلوم • وقد برز أحداده كأعضاء فى البرلمان البريطانى فى فترات مختلفة • بالاضافة الى ذلك فقد عرف اللورد روزبرى منذ صباه بحبه الشديد للرياضة وخاصة ميوله الواضح نحو الخيل والسباق وقد فاز بالديربى عدة مرات عندما كان رئيسا للوزارة عام ١٨٩٥•

تزوج اللورد روزبرى بحنا روشيلد أى من العائلة اليهودية المشهورة فى عالم المال والسياسة ويقال ان لهذا الزواج أثرا واضحا فى حياته السياسية وبخاصة فى موقفه بالنسبة للمسألة المصرية وقد اختلف المؤرخون نحو تقييم هذا الدور (١)•

فى عام ١٨٦٠ انضم اللورد روزبرى الى حزب الاحرار ولعب دورا كبيرا فى الحملة الانتخابية عام ١٨٨٠ والتى انتهت بفوز قلادستون بدائرة Midlothion بأسكتلنده • من هنا تبدأ صلة روزبرى المباشرة بالسياسة فقد دعاه قلادستون لينضم الى حكومته ولكنه رفض حتى لا يبدو كأنها هدية قدمها قلادستون نه للدور الذى لعبه فى الانتخابات التى أدت لفوز قلادستون وتذرع بالمرض • وقد عرف عن اللورد روزبرى انه كان يتميز بحساسية مفرطة • ولكن بعد ضغط كبير قبل اللورد روزبرى أن يملأ منصب Undersecretary بوزارة الداخلية بمسئوليات مباشرة نحو أسكتلنده ولكنه سرعان ما استقال من منصبه ربما لعدم رضاه بما أعطى •

---

١ - See Mahasin Abdel Gadir Hag El Safi: "Lord Rosebery, Egypt and the Sudan 1882—1898", Unpublished M. Litt thesis Edinburagh 1969, pp. 32-35

بعد ذلك سافر الى أستراليا وفيهاألقى العديد من خطبه السياسية مماجعله يعرف بأنه أحد الدعامات الاساسية لتوسيع الامبراطورية البريطانية وقد تميز عن زملائه فى حزب الاحرار بأنه يؤمن ايمانا قاطعا بضرورة تغذية وتوسيع الامبراطورية وقد كتب فى ذلك العديدوتحدث الكثير أيضا مما يتضح من خطبه السياسية داخل وخارج بريطانيا (٢) .

عند عودته من أستراليا دعى مرة أخرى لينضم الى حكومة قلادستونولكنه رفض حتى أتته فرصة سانحة فى عام ١٨٨٥ جعلته يلتمس مساندة قلادستون وبمحض ارادته . كان هذا الحدث هومقتل غردون فى الخرطوم والسياسة البريطانية تجاه السودان آنذاك . شعر روزبرى أن قلادستون فى حاجة اليه وان الامبراطورية فى حاجة لمن يدافع عنهاويدعم بناءها . وكتب قائلا :

« نحن الآن نمر بمحنة قلما تحصلفى تاريخ أمة ... والتى يجب أن تتحد من أجلها ... اذا رأيت أنه ربما كانت فىخدماتى فائدة ، فانى أقدمها وبكل سرور ... »(٣) .

عندما رجعحزب الاحرار للحكم عام١٨٨٦ كان لروزبرى ما أراد فقد عين وزيرا للخارجية فى حكومة قلادستونوقد أعطاه مقتل غردون على أيدى انصار المهدى فى الخرطوم فرصة سانحة لتحقيقطموحه وارضاء كبريائه .

حينئذ بدأت صلة روزبرى بالاحداث فى السودان . قبل ذلك وكما يبدو من خطبه ورسائله فقد كان يجهل مجرى الاحداث فى السودان جهلا تاما .

وجدير بالذكر هنا وجهة نظر روزبرى فى الملابسات التى بدأت بارسال حملة لانقاذ غردون وانتهت بخيبة أمل عظيمةكلفت الخزينة البريطانية الكثير من المال

---

٢ - See J. Renwick, *Life and work of Lord Rosebery*, (1909) and R. R. James, *Rosebery* (London, 1963)

وفى خطبة كان قد القاها فى اليوم التالى بنادى Epsom قال مواسيا فى موت غردون « ان عظمة الامة كعظمة الافراد لا تظهر فى لحظات الرفاهية بل فى لحظات المحنة وان كل رجل يموت ولكن ما اعظم الموت من اجل الوطن » .

٣ - P. P. B. 18 Rosebery to Gladstone 8/2/85
T. F. G. Coates Lord Rosebery : *His life and speeches* ...
Vol. I. (London, 1900), P. 443.

والعتاد وتردد مجلس العموم كثيرا فيمايختص بموقف غردون فى الخرطوم . كان فريق من الوزراء ينادى بارسال حملة فى الحال ويرى فريق آخر أن غردون قد خالف التعليمات التى أرسلت اليه ولذا لايصح أن يضحى بعدد من الجنود من أجله وأخيرا وافق مجلس العموم رغم معارضةقلادستون على ارسال الحملة بقيادة ولزلى .

كان روزبرى فى بادىء الامر مؤيدالرأى القائل بارسال الحملة وكان يرى أنه أمر لابد منه لايجاد شىء من الاستقرارفى السودان واضاف « بارسال الحملة فاننا لا نريد خلق مجزرة لقوم يحاربونمن أجل استقلالهم ولكن قصدنا بذلك انشاء نوع من الحكم فى الخرطوم »(٤).

ودافع أيضا عن سياسة الحكومة فىخطبة له فى الاجتماع السنوى فى مانشستر استنكر رأى المعارضين بقوله انها سياسة الضرب والفرار "Butcher and bolt" وقال انها محاولةأكيدة من بريطانيا لترك السودان أحسن مما هو عليه .

ولكن بعد مضى شهرين فقط تغيرتوجهة نظر حكومة قلادستون . وكتب هاملتون لروزبرى يذكر ان قلادستونيعتقد ان اسباب ارسال حملة اصبحت اضعف بكثير من قبل(٥) .

لقد اتضح لحكومة الاحرار أنه ليسهناك دليل قاطع على وجود فئة من السودانيين موالية لغردون وليست هناكأى أخبار عن وقوع فوضى فى الخرطوم وانه ليس هناك ما يثبت ان الحكومة فىالخرطوم اسوأ مما كان عليه الوضع أيام الحكم التركى المصرى . وانه لا يعتقدأن الاستيلاء على الخرطوم سيساعد على انهاء تجارة الرقيق وليس هناك ما يدلعلى أنه فى الهجوم على الخرطوم خلاص للقوات المحتجزة هناك دون قتال(٦) .

وقد رجح ولزلى نفسه التمسك بدنقلا كحد شمالى أقصى وتبعت ذلك مناقشات ومداولات فى البرلمان البريطانى . وقد كان رأى اللورد روزبرى انه

٤ - R. P. B. 115 — Autograph Memo on Privy Seal Office. 26/2/85.
٥ - E. Hamilton to Rosebery, 11/4/85.
٦ - M. Shibeika, *The Independent Sudan* (New York. 1959) P. 232.

ألا يتقدم ولزلى نحو الخرطوم وفى نفس الوقت ألا يتراجع خطوة واحدة عن دنقلا وعن أسباب اعتراضه على التقدم للخرطوم ذكر : ـ

١ ـ ان الرأى العام البريطانى قد تغير وأصبح لا يرى ضرورة للتقدم .

٢ ـ ولزلى نفسه أبدى معارضة ووصف مشقة التقدم بانها من أصعب المهام منذ دحر نابليون .

٣ ـ لم تكن بريطانيا متحمسة فى يوم من الايام للاستيلاء على السودان .

٤ ـ تدل التقارير الواردة من الخرطوم أن المهدى قد انتهى على يد انصاره ولذلك لا داعى ان يشغل الرأى العام البريطانى باخباره .

٥ ـ تأزم الموقف بين بريطانيا وروسيا مما جعل توقع حدوث حرب أمر ممكن ولذلك فانه من الغباء زيادة مسئوليات بريطانيا(٧) .

ولكن روزبرى أبدى عدة اسباب أخرى ضد التراجع : ـ

١ ـ يجب ألا تنصاع الحكومة للرأى العام ويجب أن تقود ولا تدفع .

٢ ـ يبدو أن متطلبات ولزلى أقل مما كان متوقعا .

٣ ـ التراجع سوف يقوى من شكيمة المهدى .

٤ ـ اذا تراجعت بريطانيا ففى ذلك هزيمة لها أمام العالم حيث ينتهى القول بأن الخرطوم قد سقطت على أيدى المهديين وان المهدى سيقدم ليس الى دنقلا فقط وانما على مصر نفسها .

٥ ـ سوف تزعم روسيا بأن انجلترا فشلت فى ادارة حربين مما يقلل من شأن بريطانيا كثيرا .

ولكن مقتضيات الاحوال جعلت حكومة الاحرار ان تقرر انسحاب حملة ولزلى وان ينحصر الصراع مع روسيا فى افغانستان اولا ثم بعد ذلك تلتفت الى السودان . وقد اعلن فى مجلس العموم البريطانى فى ١٢ أبريل ١٨٨٥ أن الحكومة

٧ ـ وضع روزبرى هذه الاسباب فى مذكرة ضمن مجموعة رسائله
R. P. B. 90 A Note by Lord Rosebery 14/4/85.

لا تنوى القيام بأى عمليات حربيـــة فى السودان وأمر ولزلى بالتراجع • وقد أيد اللورد روزبرى موقف حـــكومته وكتب معلقا فى خطاب له للورد بونسونبى :

« أنا أرى اذا أصر قلادستون على التحرك بالحملة نحو الخرطوم فانه سوف لن يترك لينفذ ذلك • وقد تأكد لى ذلك منذ أن قمت بجولة قصيرة الى مانشستر واسكتلنده فى بداية ابريل •• وبالانسحاب البطىء وحده سوف يتسنى لنا مقاومـــة عثمان دقنه والمهدى »(٨) •

الملاحظ أن آراء اللورد روزبرى عن المسألة السودانية فى الفترة التى سبقت تعيينه وزيرا للخارجية كانت متضـــاربة ولا ترتكز على أى معرفة جيدة بالموقف داخل السودان وقد بنيت على تقـــارير متناقضة • الواضح أيضا ان روزبرى كان يعلق أهمية كبرى على الموقف فى آسيا والعلاقة البريطانية مع روسيا فى افغانستان وحفظ التوازن فى البحر الابيض •

وثمة عامل آخر فان روزبرى كغيره من الساسة البريطانيين(٩) فى ذلك الوقت يجهل تماما الصلة بين المسألتين السودانية والمصرية فبينما يصرون على بقاء مصر فى الامبراطورية حفظا للتوازن فى البحـــر الابيض الا انه غير واضح فى اذهانهم ان السودان جزء لا يتجزأ من المسألة المصرية آنذاك ولذلك لا يرون أهمية السودان فى ذلك المضمـــار • وبالرغم من تمسك اللورد روزبرى برأيه فى التوســـع فى الامبراطورية ودعمها كما اسلفت فان معرفتـــه السياسية والجغرافية بالسودان لم تجعله فى موقف يمكنه من وضع آرائه بوضـــوح •

ولما جاء الاحرار مرة اخرى للحكم وكان روزبرى وزيرا للخارجية للمـــرة الاولى فى عام ١٨٨٦ لم يكن هناك أى وضوح فى آرائه أيضا وكان همه الاساسى دعم موقف بريطانيا فى مصر وكان من أشد المعارضين للانسحاب منها وفيما عدا مسائل صغيرة تتعلق بفتح الطريق التجارى بين مصر والسودان فلم يرد فى رســـائله أى شىء ذو اهمية فيما يتعلق بالسودان •

---

٨ ـ R. P. B. 114 Rosebery to Henrey Ponsonby 24/4/1885.

٩ ـ المعروف ان ظاهرة الارتباك هذه كانت سمة عامة للسياسة البريطانية ليس نحو السودان فحسب وانما على مصر نفسهـــا .

ولكن وعند تعيينه وزيرا للخارجيةللمرة الثانية فى حكومة فلادستون عام ١٨٩٢ نجد ان معرفته بالمسألة السودانيةبدأت تبرز بصورة اوضح وان آراءه تغيرت تبعا لذلك • والسبب المباشر فى ذلك هو : ــ

أولا : قرار الحكومة البريطانية بانتبقى احتلال مصر لاطول فترة ممكنة والذى كان روزبرى من مخططيه ــ جعلبالضرورة مراقبة الموقف(١٠) فىالسودان وبالتحديد كان الرأى السائد هو ضمالسودان حتى تأمن الحدود الجنوبية لمصر • وثمة عامل آخر هو انه فى عام١٨٩٤ ونسبة للصراع بين فرنسا وبريطانيا على حوض النيل اصبح من الضروريالسيطرة على السودان للحد من التوسع الفرنسى فى افريقيا ، بالاضافة الى ذلكفانه فى تلك الفترة يبدأ تأثر روزبرى الواضح بآراء ونقت Wingate • وقدكان ونقت حريصا على وضع كل المعلومات التى جمعها عن السودان ، والتى كانت تعبر عن رغبة واضحة فى اعادة فتح السودان ، بين يدى روزبرى وقد ابدىروزبرى اشد الاعجاب بكتاب ونقت *Mahdisim and the Egyptian Sudan* الذى طبع عام ١٨٩١ • وقد وصفه بالدقة وجمال الاسلوب واعجب بالخريطة المرفقةفيه والتى مكنته من معرفة موقع يوغنده بالنسبة للنيل • كما اعجب بوصفهللاستوائية (١١) •

ونال اعجاب روزبرى أيضا كتاب : ــ

Ohrwalder, *Ten Years Captivity in the Mahdis Camp*

والذى أعد عام ١٨٩٢ تحت اشراف ونقتوقام بترجمته من الالمانية للانجليزية وقد أهدى ونقت روزبرى نسخة منه وفى تعليق له على الكتاب قال روزبرى :

« لم اقرأ فى حياتى امتع من هذاالكتاب ، انه يخبر المرء بكل ما يريده من معلومات وعن كل غموض يكتنف تلك القارة السوداء »(١٢) •

ان قصة اهوالدر بما فيها من أسلوب مبتذل على المهدى والثورة المهدية والصور المرعبة والافتراء على حكم الخليفة لهو هدية ثمينة لروزبرى فقد

١٠ ــ كما اسلفت ان السياسة البريطانية كانت غيرواضحة فيما يتعلق بالبقاء او الخروج من مصر ، ولكن وفى التسعينيات فقد اتضح ان الصراعالاوربى فى حوض النيل اقتضى بقاء بريطانيا فى مصر.

١١ ــ نقلا عن :

S. A. D. B.233/3 E. F. Chapman to Wingate 14/10/1892.

١٢ ــ Ronald Wingate, *Wingate of the Sudan* (London, 1955) P. 91.

تشرب بآرائه وآراء ونقت ومع أن ونقت لم ينجح فى دفعه نحو سياسة ضم السودان الا انها نجحت فى تهيئته الى ان بريطانيا يجب أن تتدخل فى مرحلة ما لتدفع السودان من البربرية الى الحضارة.

وقد أسلفنا آراء روزبرى فيما يختص بالامبراطورية وبمسئولية العنصر الانجلو ـ سكسونى فى تحضير العالم.

ولما صدر كتاب سلاطين باشا « السيف والنار فى السودان » *Fire and Sword in the Sudan* فى عام١٨٩٦ والذى كتب أيضا تحت اشراف ونقت كان اسم اللورد روزبرى فى اول القائمة التى قرر ونقت اهداءها نسخ من الكتاب . ولما هرب سلاطين كان لوقع كتابه أثر فعال فى نفس روزبرى وقد أبدى رغبة أكيدة فى أن يعين سلاطين فى وظيفة فى الادارة البريطانية فى مصر أو يوغنده(١٣) ومكافأته لونقت على الدور الذى قام به فى تخطيط وانجاح عملية هروب سلاطين فقد رشحه روزبرى لينال الـ C. B.

وكتب ونقت شاكرا لروزبرى مبادرته قائلا : ـ

« لقد أخبرنى اللورد كرومر ان الشرف العظيم الذى انعمت به على صاحبة الجلالة كان نتيجة لتوصيتك الحسنة »(١٤) .

ورشح ونقت بدوره سلاطين لنيل نوع من المكافأة وقد أنعمت عليه صاحبة الجلالة بميدالية الحرب و C. B.

يتضح من كل هذا أن جهل روزبرى بطبيعة الثورة المهدية وطبيعة الصعاب التى تواجه الخليفة جعلته يقع فريسة لآراء ومخططات ونقت . وفى نفس الوقت الذى نجح فيه ونقت فى تهيئة روزبرى لتنفيذ مخططاته فى حوض النيل كان الخليفة فى أمدرمان مشغولا بشة عوامل كثيرة منها السير فى خطى المهدى فى نشر الدعوة المهدية وارساء قواعد حكومة قويمة بعد حكم تركى دام زهاء الستون عاما . وهذا كان يقتضى بالضرورة القيام بعمليات حربية استنزفت الكثير من المال والرجال بالاضافة الى ذلك فان حكومة الخليفة كانت تواجه خطر الزحف الاوربى

---

١٣ - See R. P. B. 88, Rosebery to Cromer 21/4/95.

١٤ - R. P. B. 72, Wingate to Rosebery 25/5/95.

المتزايد على حوض النيل ومن جميع الجهات وكان الاثر المباشر لدعاية ونقت كما اسلفت ان اقتنع اللورد روزبرى بأهمية السودان لتوسع الامبراطورية البريطانية وبدأ يستوعب فكرة استرجاعه ضمن الممتلكات البريطانية .

وفى الواقع انه لما جاء روزبرى وزيرا للخارجية عام ١٨٩٢ كانت ايطاليا قد بدأت الزحف نحو شرق السودان لتحتل محلها فى الصراع على اقتسام حوض النيل وكانت وجهة نظر الحكومة البريطانية ـ بالرغم من عدم رغبتها فى التدخل فى السودان آنذاك ـ ان تسرع لتدعيم موقفها حتى لا تحظى فرنسا بقاعدة فى اثيوبيا تمكنها من ان تسيطر على الموقف فى حوض النيل .

لهذا كانت الحكومة البريطانية حريصة على أن تستفيد من ايطاليا كحاجز من جهة الشرق ، ومما ساعد على تنفيذ هذه السياسة سقوط كرسبى Crispi فى ايطاليا فى فبراير ١٨٩١ وتولى di Rudini مهام الامور ، وقد عرف عنه انه غير متحمس اطلاقا على توسع ايطاليا فى منطقة شرق افريقيا ، ولهذا فقد نجحت حكومة سولسبرى فى امضاء Convention معاهدة مع ايطاليا فى مارس ١٨٩١ تعترف فيها ايطاليا بالكيان المصرى فى السودان وقد اعترفت بريطانيا بدورها الوجود الايطالى فى اثيوبيا .

ولكن وبرجوع Crispi للحكم فى ديسمبر ١٨٩٣ وازدياد نشاط المهديين فى كسلا اصبح موضوع العلاقات البريطانية ـ الايطالية فى حاجة الى مراجعة وقد طلبت وزارة الخارجية الايطالية من حكومة روزبرى* اتخاذ موقف موحد تجاه المهديين وكانت حكومة ايطاليا ـ كما هو الحال فى تونس ـ ترمى الى اشراك بريطانيا . ليس لانها ترى فى ذلك حلا لمشاكلها من مراكش الى البحر الاحمر فحسب . بل لخوفها من ان بريطانيا ربما تفكر فى حل مشاكلها فى افريقيا (متضمنة تونس) مع فرنسا على حساب ايطاليا(١٥)

ولم ير كرومر اى ضرورة الى القيام بعمل موحد مع ايطاليا وكذلك روزبرى الذى كان يعمل جاهدا على تخفيف حدة التوتر بين بريطانيا وفرنسا . وكانت

---

* عين روزبرى رئيسا للوزارة البريطانية فى مارس ١٨٩٤ .

١٥ - Arthur Marsden "Britain and the Tunis Base 1894—1899" *English Historical Review*, Vol LXXIX 1964, P. 67.

تعليمات روزبرى الا تشجع الفكرة اذا عرضت للنقاش • ولما لم تنجح ايطاليا فى تنفيذ الفكرة شنت هجوما على كسلا واحتلتها •

وكان الوجود الايطالى فى كسلا لايشكل ، حسب رأى اللورد روزبرى ، خطرا على وضع بريطانيا فى حوض النيل بل ان معاهدة ١٨٩١ قد نجت بريطانيا من خطر الوجود الفرنسى فى اثيوبيا •

كما اسلفت فان الوجود الايطالى لم يكن ذا اهمية او خطورة لسياسة روزبرى فى حوض النيل ولكن الخطر الحقيقى كان يكمن فى التحرك الفرنسى من جهة الغرب والجنوب • وكان تحرك فرنسا من الجنوب فى ١٨٩٣ دلالة واضحة على احتجاجها على احتلال بريطانيا لمصر • وقد قامت فرنسا بهذا التحرك ايضا لاحتجاجها على سياسة روزبرى وتمسكه بالبقاء البريطانى فى مصر وعلى سياسته فى سيام •

فى نفس الوقت الذى بدأ فيه تحرك فرنسا شمالا نحو حوض النيل كان روزبرى يواجه تيارا عنيفا من الاحتجاج على سياسته تجاه يوغنده وكان يشن الهجوم مجموعة من زملائه فى مجلس الوزراء البريطانى • كما اسلفت فان حملة ونقت الدعائية قد نجحت فى تثقيف روزبرى وجعلته اكثر الماما بخريطة حوض وادى النيل ولهذا فقد اقتنع باهمية الصلة بين مصر والسودان واهمية يوغنده كمدخل رئيسى للنيل وأصبح يعلق أهمية كبرى على ما جاء فى تقرير كتشنر وقوله : ــ

« ان اى دولة توطد اقدامها فى يوغنده ولها من العدة والعتاد الحربى ما يكفى سوف تتقدم شمالا عن طريق مديريات مصر الاستوائية وتساعد فى اى عملية اذا استدعت الضرورة ضد اى مجهود يقوم به المهديون فى سبيل غزو مصر »(١٦) •

وقد حرص كتشنر ايضا على ابراز أهمية المديريات الجنوبية فى السودان وصلتها الوثيقة بيوغنده • وذكر فى تقريره مركزا على الاهمية الاقتصادية لهذه المنطقة اذ انها غنية بالعاج وانها منطقة خصبة للتجنيد • ومن اهم العوامل التى عمل كتشنر على اثارتها هو انه اذا لم تسرع بريطانيا فان مسلمى السودان

---

١٦ ــ Sudan Archives Khartoum, Cairint 3/1/11 memo on Uganda by Kitchener 16/9/1892.

ومسلسى يوغنده سيتحدون وتكون النتيجة حركة مهدية اخطر من التى شهدتها بريطانيا فى السودان •

نتيجة لما جاء فى تقرير كتشنر السالف الذكر وبحملة ونقت الدعائية فقد قرر روزبرى ان تكون يوغنده محمية بريطانية فى ٢٢ مارس ١٨٩٤ وبهذا قد نجح ايضا فى اغلاق الطريق امام فرنسا على الاقل فى نقطة رئيسية فى جنوب حوض النيل تؤدى مباشرة الى فشوده •

ولكن رغم مجهودات روزبرى فى درء خطر الزحف الفرنسى من الجهة الشرقية والجنوبية لحوض النيل فان الجبهة الغربية مازالت مفتوحة • وقد دق ونقت ناقوس الخطر منذ ١٨٩١ ولفت نظر وزارة الخارجية البريطانية لاحتمال دخول فرنسا عن طريق امبراطورية رابح زبيرانى دارفور وكردفان وكان حريصا على ان تضمن الحكومة المصرية ولاء رابح حتى تمنع الزحف الفرنسى نحو النيل • ولم ينل اقتراحه إهتمام وزارة الخارجية • ووجد فرصة سانحة فى ان يعرضها على روزبرى عندما جاء وزيرا للخارجية فى ١٨٩٢ وبعد ان نجح فى شرح تقريره بكل ما يتعلق بالوجود البريطانى فى افريقيا • وقد حظيت الفكرة بالقبول عند روزبرى ولكن ليس هناك اى دليل على وجود رد فعل من قبل رابح •

بجانب الاتصال برابح فقد رأى ونقت انه من الضرورة بمكان ان تتصل الحكومة المصرية بالسنوسى فى Cyrenaica ولنفس الغرض وكان كتشنر على يقين بان الخليفة عبد الله يخشى السنوسية لانها اتسمت بالعداء للمهدية وكان لورد لوقارد Lord Lugard متفائلا بانه ربما يزحف السنوسى ويقضى على دولة الخليفة • ومن جهة اخرى قدم Clare Ford سفير بريطانيا فى فرنسا مذكرة يلفت فيها نظر روزبرى الى تحركات فرنسا فى هذه الجهة لكن رغم هذه المحاولات فان امكانية استفادة بريطانيا من السنوسية لدحر الخليفة كما هو الحال فى مسألة رابح زبير لم تأت بالنتائج التى كان يرمى اليها ونقت وكتشنر وقوبلت بالاهمال من لندن •

أما خطر الجبهات التى واجهت حكومة روزبرى فى تعزيز اقدامها ضد فرنسا فى افريقيا وحوض النيل هى الجبهة الجنوبية الغربية ، اى الكنغو بالتحديد ، أصبح لزاما على روزبرى ان يكسب ثقة ملك البلجيك ليستفيد من خلق حاجز

ضد التوغل الفرنسى • وفى ١٢ أبريل ١٨٩٤ امضى لنورد كمبرلى ـ وزير الخارجية فى حكومة روزبرى ـ وممثل ملك البلجيك معاهدة سرية يحتوى البند الاول من تلك المعاهدة على زيادة ممتلكات ليوبولد فى الكنغو ونص البند الثانى على زيادة ممتلكات ليوبولد حول النيل • البند الثالث ضمن لانجلترا ممرا طوله حوالى ٢٥ كيلومترا فى الكونغو تجاه حدود الممتلكات الالمانية فى شرق افريقيا يكون هذا الممر فى حوزة بريطانيا مقابل دفع مبلغ • نص البند الرابع على انه ليس لملك البلجيك might of Sovereignty أى حق فى الاراضى التى اضيفت اليه من بريطانيا حول النيل • البند الخامس اتاح لبريطانيا حق استعمال خط تلغرافى عبر الكنغو • ونص البند السادس على انه لابد من أن تكون هناك مساواة للافراد البريطانيين والبلجيكيين فى كل من الجانب الآخر(١٧) •

وما ان علم جون هاركوت رئيس مجلس العموم البريطانى وزميل روزبرى فى حزب الاحرار حتى ابدى معارضة شديدة للاتفاقية وذكر انه لا مبرر لها سوى ان تعكس حساسيات ضد فرنسا وزاد من استيائه ان رئيس الوزراء ـ اللورد روزبرى ـ لم يناقشه فيها بوصفه رئيس مجلس العموم • ونتيجة لمعارضة هاركوت ومجموعة اللاتوسعيين anti Expansionists فى الوزارة فقد اخبر روزبرى صاحبة الجلالة بانه قرر الغاء الاتفاقية على شرط ان تكون هناك اخرى مع ملك البلجيك تكون اكثر عموما وتعرض على الملك ان يستولى على جزء من الممتلكات البريطانية تحت تصرف حكومة صاحبة الجلالة وان يخليها الملك باشارة من حكومة صاحبة الجلالة ايضا •

ولكن حتى بعد التعديل أعلاه فقد عارضها هاركوت وادوارد مورلى وكلاهما ضلع فى الصراع الذى كان واضحاً فى حزب الأحرار من أجل قيادة الحزب •

ولكن رغم ذلك فقد امضيت المعاهدة فى ١٢ مايو ١٨٩٤ وكان واضحا ان فرنسا غير مرتاحة لبنود المعاهدة رغم التعديلات وكانت تعمل جاهدة على حمل ليوبولد والمانيا لالغاء المعاهدة وكان لتصرف المانيا وقع غير حسن فى نفس روزبرى الذى صرح بانه « اذا اصرت المانيا على مساندة فرنسا او تظاهرت بذلك فى هذه المسألة وغيرها من المسائل الخاصة بافريقيا فيجب علينا ان نراجع موقفنا ازاء أوربا وبخاصة حوض البحر الابيض والشرق » •

١٧ – See Peter Stansky, *Ambition and strategies : The Struggle for the Leadership of the Liberal party in the* 1890s (Oxford 1964), P. 10.

ومضى يقول :

« ولما يحين الوقت لجلالتكم بالكتابة الى الامبراطور يجب ان نذكر له ان المانيا تلعب لعبة خطيرة للغاية »(١٨) .

وكان الالمان قد ابدوا معارضة شديدة للبند الثالث من المعاهدة المذكورة اعلاه لان الممر الذى اجر لبريطانيا سيخلق حاجزا بينها وبين الكنغو . لكن روزبرى كان يعلم أنه لو لم يستجب لطلب المانيا فهذا يعنى ان بريطانيا ستلاقى العديد من المشاكل فيما يختص بالمسألة المصرية .وفى ١٦ يونيو ١٨٩٤ أرسل روزبرى ووزير خارجيته لمغرافا سريا الى سير بلنكت Sir F. Plunkett (الوزير البريطانى ببروكسل) ليلغى البند الثالث من الاتفاقية . وبديهى ان يعارض هاركوت ومورلى تصرف روزبرى فى مثل هذا الامر دون الرجوع الى مجلس الوزراء وكان واضحا ايضا ان الغاء بعض بنود الاتفاقية قد اضعف من قيمتها كثيرا او عزل ملك بلجيكا عن بريطانيا وترك الباب مفتوحا امام فرنسا لتعزز موقفها وان تبدأ اتصالاتها بليوبولد ولهذا قد فشل روزبرى فى صد التقدم الفرنسى من الجهة الجنوبية الغربية لحوض النيل . وفى الواقع فقد أمضى ليوبولد فى ٥ فبراير ١٨٩٥ معاهدة مع فرنسا من شأنها أن تضمن لفرنسا الكنغو فى حالة تخلى الملك البلجيكى عنه . بمعنى آخر فقد فتحت هذه المعاهدة الطريق على مصراعيه لتقدم فرنسا نحو حوض النيل .

فى ذلك الحين كانت تدور فى مجلس العموم البريطانى مناقشات حادة حول التحرك الفرنسى فى تلك البقعة من افريقيا . سأل سير اشمت بارتلت Sir Ashmett Bartlett عما اذا كان نسبة لاهمية مياه النيل لمصر وللنفوذ البريطانى ـ من الممكن ان تصرح الحكومة ان كل مجرى نهر النيل يقع فى نفوذ بريطانيا ولهذا فسوف لا تسمح بريطانيا لاى دولة أخرى ان تحتل تلك المنطقة(١٩)

فى يوم ٢٨ مارس اصر Bartlett على رد من وزير الخارجية على سؤاله سالف الذكر عن التحرك الفرنسى المزعوم نحو فشوده .

١٨ - E. P. B. 52 Rosebery to the Queen 14/6/94.

١٩ - Hansard, *Fourth Series*, Vol. XXXI, P. 781. 11-3-95.

وقد اجاب ادوارد قـرى بالعبارة التاريخية التالية :ـ

« ان تقدم فرنسا نحو حوض النيل تحت اشعار سرى فى الجانب الآخر من افريقيا فى ارض عرفت منذ وقت طويل بانها منطقة نفوذنا سوف لا يعد مجـرد قرار مفاجيء ولكن يجب ان تعرف حكومة فرنسا بجلاء ان هذا التصرف سيكون عـدائيا "Unfriendly" وسوف ينظر اليه هكذا من جانب انجلترا »(٢٠) •

وفى ذلك الحين واثناء تأزم الموقف كانت ملكة بريطانيا تقضى اجازتهـا فى فرنسا وكان اللورد روزبرى لفشله الذريع فى معالجة الموقف مـع فرنسا والمانيا ـ يعانى من المرض وكتب يخبر الملكة بان البلاد مقبلة على حالة فى غاية من الخطورة وان فرنسا تتصرف تجاهنا تصرفـا غيرحميد فى افريقيـا وفى سيام(٢١) ولفت نظرها الى رد Edward Grey على سؤال Bartlett فى مجلس العموم ووصفه بانه رد محترم •

بالرغم من مرضه فقد حضر روزبرى جلسة مجلس الوزراء فى ٣٠ مارس ليسانـد Grey ويدعم موقفه ضد هاركوت ومورلى • وقـد أجمع الاجتماع على مساندة •

ولـكن بالرغم من دعم روزبرى لتصريـح Grey فقد شك المؤرخون حـول الموقف الحقيقى لروزبرى تجـاه ذلك التصريح وكان يبدو غريبا لديهم ان يرضى روزبرى ان يدفع بريطانيا للحرب مع فرنسا فى افريقيا ويبدو ان دعمه لـ Grey ليس لاقتناعه بمبدأ الحرب مع فرنسا وانما هو مجرد دعم لشخص عرف بأنه من أبرز أعضاء حكومته ومن أقربهم اليه • وفى احدى المذكرات التى كتبهـا معتذرا لمورلى عن تصرفه معه فى اجتماع المجلس ذكر انه ابتلع خطبة Edward Grey لانه لا مفر من ذلك ولكن وفى تاريخ متأخر عـام ١٨٩٨ صرح روزبرى بانه مسؤول مسئولية شخصية ووزارية نحو تصريح Grey ولكن ليس هناك مايدل على ان روزبرى كان مسؤولا عن التعبير الذى ذكره ردا على بارتلت Bartlett وربما جاء تصريح روزبرى بتحمل المسئولية عندما تأكد من نجاح بريطانيـا فى استعادة السودان سنة ١٨٩٨ •

٢٠ ـ *The Times*, 29-3-1895.

٢١ ـ B. B. B. 53, Rosebery to the Queen 29-3-1895.

مما اسلفنا يتضح انه فيما عدا قفل الطريق امـام الزحف الفرنسى باعـلان يوغنده محمية عام ١٨٩٤ لم تنجح دبلوماسية روزبرى فى صد فرنسا عن حوض النيل بل فتحت المجال للتقـدم الفرنسى وحملة مارشاند فى فشوده عام ١٨٩٨ • ونسبة لحالته الصحية وتبرماً بالمعارضـة الشـديدة التى يلاقيهـا من زملائه فى الحكومة مثـل هاركوت وموورلى فقـداستقال من رئاسة الوزارة البريطانية فى يوليـو ١٨٩٥ وترك حـكومة المحافظين لتواجـه المسألة السودانية فى اخطـر مراحلهـا •